تعريب الطب
مركز تعريب العلوم الصحية

العـــــــــدد 2
يـونيـــــو 2009

المصطلح العربي .. مشكلاته وتطويره

أ: عماد سيد ثابت*

بسم الله الرحمن الرحيم : (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿22﴾) . ﴿سورة الروم﴾

لعل أهم قضية تواجه لغتنا العربية اليوم هي تطويرها لتصبح لغة معاصرة وعلم، كما هي لغة أصالة وإنسانيات. هذا يعني جعلها وعاءً للمعرفة العلمية والتِّقانية بدءاً من نقل المصادر والمراجع المعرفية وترجمتها إليها، وانتهاءً بصياغة الدراسات والبحوث بلغة علمية عربية قوامها مصطلح دقيق وعبارة واضحة.

ويتطلب نقل الكم الأجنبي إلى العربية إيجاد المعادل اللغوي لذلك الكم. سواء أكان المنقول مفردات عامة أم مصطلحات خاصة، ليس ثمة إشكال في نقل المفردات العامة لأن مدلولاتها مما تشتمل عليه كثير من اللغات، لاسيما أن العربية معروفة بغناها ووفرة مخزونها من المفردات العامة التي تجمعت لديها في مختلف مراحل تطورها الحضاري.

لكن المشكلة التي تواجه لغتنا تكمن في ذلك الدفق من المصطلحات ذات المعاني المخصصة، بعض هذه المصطلحات مما عرفته العربية ووضعت له مقابلاً، ولكن بعضها الآخر، وهو كثير ليس له مقابل في لغتنا، إما لجدته حتى بالقياس إلى لغته الأصلية أحياناً، وإما لغرابته عن البنية العربية وثقافتها.

يعد علم المصطلح أحد المفاهيم الحديثة في علم اللغة المعاصرة، ويهدف إلى وضع قواعد ثابتة ومعايير للمصطلحات العلمية الحديثة. وهذا العلم هو أحد فروع علم المعجمية، ذلك أنه يتناول تكوين المصطلحات ومدى تمثيلها للبناء المعرفي.

لا شك أن المصطلح له دور أساسي وفاعل في تكوين المعرفة، وعندما تتعدد حقول المعرفة ويحدث لها التغيير تبعاً للأثر التاريخي والبحثي، فإن ذلك يعني أن المفهوم الذي ينطوي عليه شكل المصطلح يتعدد تبعاً لحقول المعرفة المختلفة، ونموها وتعقيداتها التي تتجاوز أحياناً حدود التفكير، وتؤدي إلى الاعتقاد بسلامة أو كفاية العلاقة بين المصطلح والمفهوم.

لذلك فالعمل المصطلحي لا يخلو من التعقيدات التي تتصل بدرجة عالية بميدان البحث في الأصول المصطلحية للمفاهيم المعرفية، فيواجه المصطلحي أحياناً إشكالية ضبط حدود المصطلح، والغموض، والانقطاع، والتراجع عن الاعتماد بسبب التأثيرات الكثيرة التي يواجهها المصطلح، ومنها تشابك حقوله المعرفية وتداخلاتها، وخاصةً المعارف أو التخصصات المجاورة والتي تُغيِّر بنية المصطلح الشكلية

* مدقق لغة عربية ـ مركز تعريب العلوم الصحية ـ دولة الكويت.

والدلالية. والمصطلح يتأثر أيضاً بالثقافة، أي أنماط التفكير والممارسات الفعلية والتحويلات الاجتماعية والبيئية والأبعاد التاريخية والتراثية، وكذلك الإنجازات الإنسانية الحديثة، لذلك فالأطر الثقافية والحضارية تلعب دوراً مهماً في الدلالات المصطلحية، ليس فقط في أبعادها المحلية، وإنما أيضاً في علاقتها بالثقافات والحضارات الأخرى. هذا الواقع يجعل المصطلح ومفاهيمه خاضعاً للبنية الثقافية وشروط حقل المعرفة، وأيضاً مواكبة الحاجات الأخرى.

إن تراكم المعرفة بذاته يؤدي إلى تعقيدات مصطلحية، منها عدم استقرار المفاهيم وتكاثرها، وإزالة ومحو بعضها، وظهور أخرى جديدة، وخلق مفردات ضرورية وغيرها تشكّل عقبة أمام المصطلحيين ليس في الوصف والتحليل والاستقراء، وإنما في القدرة على التحليل واستخراج النتائج. ويبدو أن ذلك مرتبط بعدة أمور منها: المحاولات المخلّة عند نقل المصطلح من ثقافة أجنبية إلى عربية دون مراعاة لخصائص بنية المصطلح الأصلية سواء في اللغة الأصلية أو اللغة المنقول إليها كذلك انتزاع المصطلح الذي أنتجته ثقافة معينة ونقلها إلى ثقافة أخرى مختلفة، وإدخال دلالات حديثة عليه تجعله غريباً وشاذاً ولا يتناسب مع السياقات الثقافية للبيئة التي احتضنت هذا المصطلح الوافد.

لذلك فشحن المصطلح القديم بدلالة جديدة مغايرة لدلالته الأصلية، أو نقل المصطلح ذي دلالة محددة ضمن ثقافة ما إلى ثقافة أخرى يؤدي عادة إلى اختلال مصطلحي، وارتباك في فاعلية الإرسال الثقافي والتواصل والفهم والقبول.

أكثر المشكلات التي تواجه العمل المصطلحي تلك التي تتجلى في مسائل لها علاقة بتعدد الثقافات واللهجات ومستوى التطور والتنمية في المجتمع. هناك بلا شك فوضى مصطلحية في عالمنا العربي التي مازالت تشكّل عقبة أساسية في تقدم العمل المصطلحي ليس فقط في المجال الطبي، وإنما تكاد تلامس كل الميادين المعرفية، وخاصة ميادين الاتصال والمعلومات، والصناعة وعلوم الفضاء والكون والبحار والإدارة والتجارة والاقتصاد، أي تلك المجالات المعرفية التي تتصف بمعدلات التغيير المصطلحي فيها عالية. فالفوضى تتجلى في كثرة الخلافات المصطلحية، وعدم الاتفاق، والانسياق نحو العامية، وعدم المتابعة، والتمسك بالموروثات والاعتماد على المصطلح الأجنبي.

هذه الفوضى في الممارسات المصطلحية تؤدي أيضاً إلى عدم العمل بأبسط إجراءات المصطلح، وإجراءات المنهج، والمبادئ التي تقوم عليها، والاستمرار في مقاومة التوحيد المصطلحي انطلاقاً من التباينات في اللهجة العربية، واتساع جغرافية العالم العربي، وتأثر سكانه بموروثات ثقافية أجنبية متباينة، وتحديداً يمكننا أن نشير باختصار إلى مجموعة من المؤثرات التي تساهم سلباً في تخلفنا المصطلحي، وإشاعة حالة الارتباك التي ترسخ إهمالنا للمصطلح، واعتمادنا على المصطلحات الأجنبية في التعليم والبحث والدراسة، وربما في شتى مجالات الثقافة.

هذه السلبيات أو إشكالات الممارسات المصطلحية تتجلى في الجوانب التالية:

1 ـ الغزو الثقافي وأفكار العولمة وتنامي الانفتاح على الخارج، خصوصاً في المجال التعليمي والتقني والاتصالي والمعلوماتي، رغم إيجابياته إلا أن مخاطره لم تؤخذ في الحسبان فكان جراء ذلك جعْل التعليم العربي تعليماً يدرّس بلغة أجنبية وباستخدام مصطلحات أجنبية، تنقل المفاهيم وترسخها في نفوس الناشئة.

2 ـ تراجع وضآلة الإنتاج الفكري العربي في ميادين المعرفة ومنها الطب باللغة العربية، مما ساهم في عزوف المختصين المصطلحيين عن العمل في مجالاتهم بعدم

حصولهم على المساندة والتعزيز والدعم والتشجيع، بل إن الأمر تعدى ذلك إلى محاربتهم، وإحباطهم مما يقومون به من عمل مصطلحي عربي على أنه لن يكون له فائدة أمام الإقبال على المصطلحات الأجنبية، بسبب التقدم العلمي والبحثي في اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية.

3 ـ زادت وتيرة معارضة التعريب الطبي بسبب تنامي مؤسسات التعليم العربية التي تدرس الطب باللغات الأجنبية، فحوّلت هذه المؤسسات عقول الشباب إلى الاهتمام باللغات الأجنبية، وإهمال اللغة الأم، خاصة بعد أن وطدّت مؤسسات المجتمع المدني واقعاً مؤلماً، يعكس هذا الواقع أن المتخرجين من التعليم الأجنبي، أو التعليم باللغة الأجنبية لهم الأسبقية في الوظائف والحوافز المادية وإتاحة الفرص لتنمية قدراتهم ومهاراتهم في المستقبل.

4 ـ عدم الأخذ بمبادئ ومنهجية العمل المصطلحي العربي، وخاصة توحيد المصطلحات الطبية والعلمية والإدارية والصناعية والحضارية وغيرها، مما أدى إلى ارتباك مصطلحي ملحوظ في العالم العربي، خاصة وأن الجهات التي تعمل في المجال المصطلحي كثيرة مثل الجامعات، والهيئات، والمجامع اللغوية، والأفراد، ومراكز البحث واللغات وغيرها والتي تضع المصطلحات وتنشرها بأشكال وتراكيب ودلالات مختلفة.

5 ـ التباين في أسلوب ومنهجيات انتقاء وصياغة المصطلح من قِبَل واضعي المصطلحات العربية، وإدخال الرموز العلمية والمختصرات بحروفها الأجنبية أو بألفاظها الأصلية.

6 ـ صياغة المصطلحات لفظياً دون إدراك أو فهم للدلالات، واستعمالاتها حسب تنوع الاختصاصات العلمية والطبية.

7 ـ النزعة الواضحة عند المصطلحيين تجاه الخلط بين المصطلحات التراثية والحديثة، وعزوفهم عن الحديثة وتفضيلهم للتراثية. أي أن الجانب التراثي والتاريخي للمصطلح هو الأهم أمام الحاجة إلى المرونة عند هؤلاء، للمساهمة في تطور المصطلح وتغييره حسب التغيرات الثقافية والتحولات الاجتماعية والبيئية والعلمية.

8 ـ تنوع الخلفيات الثقافية والعلمية واللغوية لواضعي المصطلحات العربية، فمنهم من تعلم علومه بغير اللغة التي يترجم منها مصطلحاتها. لذلك نجد أن الذين تعلموا باللغة الروسية والصينية والإيطالية والفرنسية والأسبانية وغيرها يصعب عليهم فهم الدلالة العميقة لكثير من المصطلحات الإنجليزية.

9 ـ هناك بعض من تعلم علومه بالعربية وليس له إلمام كافٍ باللغة التي يترجم منها لكي يكون على بينة بالمفاهيم والمصطلحات على نحوٍ معمّق، فنجده غير متمكن من معرفة التباينات في مدلولات المصطلحات الأجنبية متشابهة اللفظ والمستعملة في اللغات المختلفة.

10 ـ التعددية في اللهجات العامية وفي مضامينها في البلدان العربية تعكس الارتباك في وضع المصطلحات، خاصة عندما تمتزج المصطلحات بالدلالات العامة فلا يفهمها الكثيرون لأنها غير دارجة في أوطانهم.

11 ـ يواجه المصطلح العربي إشكالية تعدد المعاني الواحدة، أي أن المصطلح الواحد قد يعني أشياءً مختلفة حسب المجال المعرفي الذي تخضع له، فكلمة (Stigma) الأجنبية في علم الطب تعني «علامة أوسمة» أو «خاصية عقلية» أو «جسدية» أو «آفة نزفية» أو «ندبة جلدية» لكنها تعني في علم النبات «ميسم» وفي الحيوانات الأولية «فتحة تنفسية» كذلك نجد كلمة (Articulation) الأجنبية تعني في علم الصوتيات «التلفظ» أي تكوين أصوات كلامية، بينما في الطب تعني، «مفصل وتمفصل» وفي طب الأسنان تعني «مطابقة الأسنان»، وكذلك الكلمة الأجنبية (Adaptor) والتي تعني لؤمة (ج: لؤم) وتستخدم في الطب شدفة دنا (DNA) «قصيرة مختلفة» بينما في الفيزياء تعني «مُحوِّل للتيار

الكهربي»، وفي الاستعمالات العامة تعني أداة للربط بين جزأين من جهاز أو لتعديل جهاز لغرض لم يكن لها في الأصل.

12 ـ ظهور النزعة المحلية في بعض المصطلحات في غياب المنهج العام، والتركيز على البُعد النظري للمصطلح أدى إلى ركود المصطلح بسبب عدم استخدامه أو إيجاد أرضية حقيقية مناسبة تتوافق مع واقعه ودلالاته ومحيط استعمالاته.

13 ـ غياب الجانب الإلزامي للمنتجات المصطلحية في البلاد العربية، ولا يعني بالضرورة تمسك كل الجهات بما ورد فيه رغم أهميته وكفاءته في التوحيد، والاستخدامات من الأطراف العاملة في مجال التعريب والأطباء والطلاب والباحثين وغيرهم.

14 ـ يواجهُ العمل المصطلحي إشكالية عدم توظيف التقنيات المعاصرة.

15 ـ الاعتماد الكبير على إلزام المجامع العربية لتذليل معيقات اللغة والمصطلح، بينما الحاجة ماسة إلى تغيير فكري ونفسي يعزز الثقة بالعربية ويدفع الناس بالإخلاص لها، وهذا يتطلب الإيمان بأهمية التغيير وبوعي الذات وتحريك الذهنيات.

* *وهذه بعض الجوانب المؤثرة في المصطلح العربي والتي يجب أن تُعالج.*

ولكن كيف يمكن معالجة المصطلح العربي وتطويرهُ؟

هناك بعض الأسس التي يجب أن تقوم عليها عملية وضع المصطلحات:

1 ـ يجب أن يعبر المصطلح عن المفهوم بشكل واضح ومباشر.

2 ـ يجب أن نضع في الحسبان البناء الصوتي والصرفي للّغة المنقول إليها المصطلح.

3 ـ يجب أن يكون المصطلح قابلاً للاشتقاق ما أمكن ذلك.

4 ـ يجب تجنب التكرار قدر الإمكان، أي لا يجب التعبير عن مفهوم واحد بأكثر من مصطلح.

5 ـ يجب أن يعبر المصطلح عن معنى واحد فقط.

6 ـ يجب أن تكون دلالة المصطلح واضحة، حتى وإن كان خارج السياق.

7 ـ يجب أن يكون المصطلح قصيراً ما أمكن ذلك دون إخلال بالمعنى.

ولا يتم ذلك إلا من خلال تعاون جماعي، أفراد ومؤسسات وحكومات، للمساهمة بشكل واضح وفعَّال في بناء وتطوير المصطلحات في شتى الميادين، وعلى أساس إلزامية استخدام المنتجات في الإنتاج الثقافي والفكري والتربوي، كما أن المؤسسات اللغوية والمصطلحية تقع على عاتقها مسؤولية قيامها ليس فقط بوضع المصطلحات وإشاعتها، وإنما أيضاً أهمية دورها في التنمية الثقافية والعلمية والتي ترتكز عليه اللغة العربية.

واللغة العربية يجب إحياؤها، ولن يكون العرب بدعاً بين الأمم إن أرادوا اتخاذ اللغة العربية لغة تعليم جامعي، فالأمم المتقدمة وغير المتقدمة سلكت هذا السبيل، بعد أن أيقنت أن الطالب الذي يتلقى علومه بلغة غير لغته الأم، يصاغ فكراً وثقافة من خلال هذه اللغة الغريبة، ونحن العرب حينما ننادي بالتعريب، فأملنا هو السعي إلى الاتصال بالعلوم المعاصرة، وتمثلها ضمن إطار من لغتنا العربية، وفي هذا أخذٌ عن الغرب دون الانصهار فيه حفاظاً على هويتنا من الضياع، ويوم تكون لغة العلم غير لغة الثقافة تُصاب الأمة بفصام فكري كهذا الذي يلاحظ في بعض المجتمعات وفي فئة من الأبناء بعض خريجي الجامعات، فلا بد من قرار سياسي يتخذه حكام العرب كي تكون لغة التعليم الجامعي هي اللغة العربية هويتنا وقوميتنا ولغة ديننا الحنيف، التي نزل بها القرآن الكريم على سيد المرسلين محمد أفضل الأولين والآخرين ﷺ.

المراجع:

* د. ممدوح محمد خسارة، منهجية تعريب الألفاظ في القديم والحديث، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان 1420هـ 1999.

ـ المعجم الطبي المفسر ـ مركز تعريب العلوم الصحية ـ الكويت، 2008 م.

ـ مواقع على الإنترنت.